

تفسير ابن كثير

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ^ج وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ^ط عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ^ج
بِأَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا

يأمر تعالى عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يباشر القتال بنفسه ، ومن نكل عليه فلا عليه منه ؛ ولهذا قال : (لا تكلف إلا نفسك) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن عمرو بن نبيح ، حدثنا حكام ، حدثنا الجراح الكندي ، عن أبي إسحاق قال : سألت البراء بن عازب عن الرجل يلقي مائة من ، فيقاتل ، أ يكون ممن يقول الله : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) [البقرة : 195] قال : قد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرّض المؤمنين) ورواه الإمام أحمد ، عن سليمان بن داود ، عن أبي بكر بن عياش ، عن أبي إسحاق قال : قلت للبراء : الرجل يحمل على المشركين أ هو ممن ألقى بيده إلى التهلكة ؟ قال : لا ؛ لأن الله بعث رسوله صلى الله عليه وسلم وقال : (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك) إنما ذلك في النفقة . وكذا رواه ابن مردويه ، من طريق أبي بكر بن عياش ، وعلي بن صالح ، عن

أبي إسحاق ، عن البراء به .ثم قال ابن مردويه : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أحمد بن النضر العسكري ، حدثنا مسلم بن عبد الرحمن الجرمي ، حدثنا محمد بن حمير ، حدثنا سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم : (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين [عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا]) الآية ، قال لأصحابه : " قد أمرني ربي بالقتال فقاتلوا " حديث غريب .وقوله : (وحرض المؤمنين) أي : على القتال ورغبهم فيه وشجعهم عنده كما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وهو يسوي الصفوف : " قوموا إلى جنة عرضها " .وقد وردت أحاديث كثيرة في الترغيب في ذلك ، فمن ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وصام رمضان ، كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها " قالوا : يا رسول الله ، أفلا نبشر الناس بذلك ؟ فقال : " إن في الجنة مائة درجة ، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة .

وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة " .وروي من حديث معاذ وأبي الدرداء وعبادة نحو ذلك .وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يا أبا سعيد ، من رضي بالله ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وجبت له الجنة " قال : فعجب لها أبو سعيد فقال : أعدها علي يا رسول الله . ففعل . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض " قال : وما هي يا رسول الله ؟ قال : " الجهاد في سبيل الله " رواه مسلم .وقوله : (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) أي : بتحريضك إياهم على القتال تتبع همهم على مناجزة الأعداء ، ومدافعتهم عن حوزة الإسلام وأهله ، ومقاومتهم ومصابرتهم .وقوله : (والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً) أي : هو قادر عليهم في الدنيا والآخرة ، كما قال [تعالى] (ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليلو بعضكم ببعض [والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم]) [محمد : 4] .